

الاحتلال الفرنسي لموريتانيا والمقاومة العسكرية (1903-1925)م French occupation of Mauritania and military resistance (1903-1925)

حواء حنكة

جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي-

الإيميل: henka-haoua@univ-eloued.dz

الملخص: يدرس هذا البحث فترة الاحتلال الفرنسي لموريتانيا وتحديدًا المقاومة العسكرية، هاته القوة الاستعمارية الكبرى التي تحكمت في مسار المغرب العربي عامة، ثم بدأت في التواجد بالمنطقة لأغراض تجارية ثم تبعتها برحلات استكشاف، موريتانيا المنطقة التي تمثل الطريق التجاري الرابط بين إفريقيا وأوروبا، والخط الواصل بين شمال إفريقيا وغربها، أسالت لعاب الكثير من الدول الأوروبية للظفر بها، لتكون أخيرًا من حظ فرنسا، التي اتخذت تكتيكًا حربيًا، ابتدأته بالتدخل السلمي عن طريق الاتفاق مع الإمارات الموريتانية المستقلة في سلطتها عن بعضها، ثم صار إخضاعًا عسكريًا نتيجة المقاومة الوطنية الراضة للاستعمار، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها في البحث، أن احتلال موريتانيا لم يكن عرضيًا، بل كان مخططًا ومدروسًا منذ القرن السابع عشر، لأن احتلال موريتانيا ووضعها تحت الهيمنة الفرنسية المباشرة، كان يلي رغبة ملحّة للفرنسيين وبشكل جدي إلى إحكام الربط بين مستعمراتهم في شمال إفريقيا وغربها.

الكلمات المفتاحية: الاحتلال الفرنسي؛ موريتانيا؛ عسكريًا؛ المقاومة الوطنية.

Abstract:

This research studies the period of the French occupation of Mauritania, specifically the military resistance, this major colonial power that controlled the course of the Maghreb in general, then began to be present in the region for commercial purposes and then followed it with exploration trips, Mauritania The region, which represents the trade route linking Africa and Europe, and the line connecting North and West Africa, made many European countries salivate to win it, to finally be the luck of France, which adopted a war tactic, initiated by peaceful intervention through an agreement with the independent Mauritanian emirates in its authority from Some of them then became military subjugation as a result of the national resistance that rejected colonialism, One of the most important findings that we reached in the research is that the occupation of Mauritania was not accidental, but rather was planned and studied since the seventeenth century, because the occupation of Mauritania and placing it under direct French domination, was meeting the urgent desire of the French and seriously to tighten the link between their colonies in North and West Africa.

Keywords: the French occupation, Mauritania, military, the national resistance.

مقدمة:

عرف النصف الثاني من القرن التاسع عشر تسابقا كبيرا للقوى الاستعمارية لاحتلال ما تبقى من مناطق العالم، بغية السيطرة عليها والتحكم في ثرواتها، وبالتالي فإن احتلال موريتانيا ووضعها تحت الهيمنة الفرنسية المباشرة، كان يلي رغبة ملحة للفرنسيين وبشكل جدي مع مطلع القرن العشرين إلى إحكام الربط بين مستعمراتهم في شمال إفريقيا وغربها، ولأن استعمار موريتانيا كان حدثا غير مسبوق قلب الموازين، إذ أنه مر على مراحل وفترات ابتدأت بالإخضاع السلمي ثم العسكري وصولا إلى الإخضاع الكلي، وفي هذا البحث بيان لبعض محطات التغلغل الفرنسي وطرقه التوسعية في كامل موريتانيا، وذكر أهم المقاومات الفردية والجماعية الوطنية لدراء الاستعمار ووقف تغلغله، وانطلاقا مما ذكر طرحنا الإشكالية التالية : كيف تمكنت فرنسا من احتلال موريتانيا؟ وفيما تمثلت مقاومة الموريتانيين لهذا المد الاستعماري؟ مدرجين أسئلة فرعية : ماهي الأسباب المباشرة وغير المباشرة للاحتلال؟ وفيما تمثلت مراحل الاحتلال الفرنسي لموريتانيا؟ وما هي ردود الفعل الوطنية اتجاه هذا الاستعمار؟

أما عن المنهج الذي اعتمدناه فهو المنهج التاريخي التحليلي، وهو المنهج الأنسب لتحليل الظروف والأحداث التي هي محور بحثنا .

بينما الخطة التي اعتمدناها فهي تحتوي أولا على: مقدمة للبحث، ثم قسمنا البحث إلى أربع عناصر، الموقع الجغرافي، ثم خلفيات الاحتلال الفرنسي لموريتانيا و يندرج تحته ثلاثة عناصر فرعية وهي كالتالي : الأسباب الغير مباشرة، الأسباب المباشرة، الاتفاق الفرنسي والاسباني والبريطاني، أما العنصر الثالث: مراحل الاحتلال الفرنسي لموريتانيا وقسمناه إلى عنصرين عنوانا الأول : مرحلة الإخضاع السلمي، أما الثاني فعنوانه : مرحلة الإخضاع العسكري، أما العنصر الرابع فعنوانه ب : المقاومة المسلحة وقسمناه إلى ثلاث عناصر، الأول عنوانه ب : مرحلة التصادم، أما الثاني فعنوانه ب : مرحلة اشتداد المقاومة، أما الثالث فعنوانه ب : مرحلة الانبعاث، ثم أخيرا الخاتمة.

1/ الموقع الجغرافي لموريتانيا:

تعتبر موريتانيا من اهم الدول الافريقية، كونها تتربع على مجال جغرافي واسع ومتنوع، إضافة إلى أنها تطل على الساحل الاطلنطي مما أكسبها أهمية داخل القارة الافريقية¹، يحدها من الغرب المحيط الأطلسي، ومن الشمال الصحراء الغربية، ومن الشمال الشرقي الجزائر، ومن الشرق مالي ومن الجنوب السنغال، يفصل بينهما نهر السنغال، تتربع على مساحة تقدر 1030700 كلم، وطول الحدود الكلية يقدر ب 5074 كلم، ولها شريط ساحلي يقدر ب 5754 كلم².

حدود موريتانيا مع الدول المجاورة هي من نتاج الاستعمار الفرنسي، إذ تم ضبط الحدود مع الصحراء الغربية ضمن المعاهدة بين فرنسا واسبانيا عام 1900م، ومع الجزائر عام 1905م، وتم تعديل الحدود مع دولة مالي عام 1944م، اما الحدود مع السنغال فقد تم تعديلها مرات عدة³.

تاريخ الإرسال: 2022/08/07

تاريخ القبول: 2022/12/25

تاريخ النشر: 2022/12/30

عرفت موريتانيا العديد من الأسماء أشهرها بلاد شنقيط، بلاد التكرور، صحراء الملثمين، واسم موريتانيا اسم قديم أطلقه الرومان عندما سيطروا على إفريقيا الشمالية، وأطلقوا على سكان تلك المنطقة اسم "مور" وتعني "اسمر"، وأطلقوا على البقعة الجغرافية الموريتانية الحالية اسم "موريتانية"، أي أرض الرجال السمر، وعندما فتح المسلمون الأندلس أطلقوا اسم "مورو" أو "مورس" وتعني الأسمر، وتانيا تعني البلاد اللاتينية، وعندما احتلت فرنسا الأراضي الموريتانية، أطلقوا عليها اسم "بلاد البيض"، بيد أن الحاكم الفرنسي اقترح تغيير التسمية، فسمّاها جان فرانسوا كاي عام 1843م بموريتانيا، وصدرت الموافقة من طرف قوات الاحتلال الفرنسي⁴.

كان النظام السائد في موريتانيا يقوم على النظام القبلي، ولكل قبيلة أو مجموعة من القبائل إمارة على رأسها أمير، يحكم إمارته بشكل مستقل عن باقي أمراء الإمارات، وتحتوي موريتانيا قبل الاحتلال عشر إمارات لكل إمارة حدودها وعاصمتها، أبقى الاستعمار الفرنسي عليها بعد الخضوع الكلي، لإحكام السيطرة بشكل أفضل، بيد أنه قسمها فيما بعد على محافظات ومقاطعات، ثم قاموا بتجريد الأمراء من صلاحياتهم، وباتوا يحكمون بشكل صوري⁵.

2/ خلفيات الاحتلال الفرنسي لموريتانيا

1.2. الأسباب غير المباشرة

1.1.2. حروب الصمغ واتفاقية 1854:

على الرغم من استفادة السلطات المحلية والأمراء ومن على شاكلتهم من الزوايا من عائدات هذه التجارة، وذلك من خلال الإشراف على عمليات التبادل، فإن السلطات الفرنسية التي انفردت بالسيطرة على المنطقة بعد ذلك، عمدت إلى تعيين الجنرال "فيديرب"⁶ سنة 1854م حاكما عسكريا جديدا للسنغال، عمد هذا الأخير على تعزيز وجود فرنسا في السنغال والبلاد المجاورة وكسر شوكة القبائل الموريتانية، ولهذا الغرض أعلن عن تخليه عن سياسة دفع الإتاوات التي كانت تدفع للأمراء مقابل تأمين تجارة العلك.

ورفضا لهذه السياسة تأتت حرب مُجّد الحبيب أمير الترازة⁷ سنة (1855 - 1858)م، ضد الفرنسيين بدعم ومؤازرة من جميع الأمراء الموريتانيين، إلا أن التفوق العسكري كان لصالح القوة العسكرية الفرنسية والتي من أهم بنودها:

- اعتراف الأمير مُجّد الحبيب بالسيادة الفرنسية على منطقة والو.

- إلغاء الامتيازات الثابتة التي يتقاضاها الأمير وحاشيته من قبل السلطات.

- إلغاء المحطات التجارية ومنع سكان الترازة من عبور نهر السينغال مسلحين.

بيد أنه في عام 1891م ولما اعتلى أحمد السلوم العرش، والذي ذهب في علاقاته مع فرنسا أبعد من سابقه رغم أنها لم تدعه في الماضي كما أسلفنا، وذلك لشعوره بتفاهم خطر المعارضة ضده من طرف قبيلته نفسها خاصة لما تزوج أخت أمير البراكنة، وتجدر الإشارة إلى أن الاستعمار الفرنسي رغم علاقاته بالأمير الحاكم الذي هو من الترازة قد أقام أوثق العلاقات بالبراكنة وبذلك أمن مصالحه في موريتانيا ولم يبق عليه سوى الانتقال لمرحلة الاحتلال المباشر⁸.

2.1.2. بعثة كوبولاني⁹:

نبهت بعثة كوبولاني الحكومة الفرنسية لأهمية ضم موريتانيا، لأن فرنسا كانت ترى أن الصحراء الواقعة

شمال السنغال لا تساوي نفقات احتلال هذا الإقليم، وبالرغم من ذلك وضعت فرنسا على سبيل الاحتياط ثلاث قواعد عسكرية لمراقبة الطرق التجارية المؤدية إلى " تكانت " ¹⁰ والمركزان الآخران للسيطرة على البراكنة ¹¹ والترارزة ¹² اللتان تعدان من القبائل الموريتانية الكبرى، ومن هنا كلف حاكم السودان الفرنسي " كزافيه كوبولاني " بمهمة التفاوض مع قبائل البيضان (القبائل الموريتانية) والطوارق القاطنين شمال السودان الفرنسي والقيام بدراساتهم من وجهة النظر السياسية والدينية وجعلهم يعلنون خضوعهم بطريقة سلمية، وقد تم تدعيم هذه البعثة ماليا من طرف الحكومة الفرنسية العامة بالجزائر، كان الهدف الأول لكوبولاني هو مسالمة أولاد علوش ومشطوف، حيث دارت المفاوضات ببطء وحذر بواسطة الرسائل والرسول وأعلن أولاد علوش خضوعهم أولا ثم تلا ذلك ابتعاث الرسل إلى ولايته وتشيت وأدرار عام 1899م، كانت القبائل الموريتانية الأساسية التي تقطن مناطق النفوذ السوداني قد أعلنت خضوعها لفرنسا ظنا منها أن دور فرنسا في المنطقة دور إنساني لا غير بغية حماية مواطني هذه القبائل والحفاظ على تجارتهم، وبالتالي أصبحت ملزمة بدفع رسوم، استطاعت ديبلوماسية كوبولاني المدعومة بعمليات ضباط من الساحل أن تتمكن من بسط نفوذها دون مقاومة ولا قتال، ليواصل كوبولاني مهمته إلى بلاد الطوارق مصحوبا بمساعدة " أرنو " حيث وصل إلى تمبكتو ثم بابنا ثم زار ثم قبائل الرحل في إقليم ازواد، أين أكد على نية فرنسا المتمثلة في تثبيت الأمن والسلم بالمنطقة.

لما أدرك كوبولاني مصالح الدول، راجع مشروعه الذي أصبح يقتصر على سهل موريتانيا " تكانت وأدرار في الشمال، لن يتجاوز خط العرض 21 شمالا، أي حتى رأس نواذيبو، وتنقل سان لويس في مارس 1901م لتجسيد فكرته وعلى إثر ذلك تشكلت لجنة وزارية في 6 جويلية 1901م، من طرف رئيس المجلس لإعادة النظر في السياسة الخاصة بأرض موريتانيا وبالتحديد في قضية الجزائر وإفريقيا الغربية الفرنسية سواء من حيث العلاقة البينية ووسائل المواصلات، وإعداد برنامج لإعادة تنظيم المناطق التابعة للنفوذ الفرنسي، فاجتمعت اللجنة لأول مرة في 14 أكتوبر 1901م وكانت تضم وزراء الداخلية والشؤون الخارجية ومفوضي المستعمرات والحكام العامين للجزائر وإفريقيا الغربية، قدمت اللجنة تقريرا في مارس 1902م توضح فيه بإيجاز من كوبولاني أن المستوى الثقافي والفكري والاخلاقي للموريتانيين يفوق ما هو عليه في إفريقيا الشمالية إضافة الى تعلقهم بدينهم وعاداتهم البدائية ووضعهم الاجتماعي الذي يكشف عن حضارة أرفع من حضارة أسلاف الأوروبيين في القرون الوسطى.

تاريخ الإرسال: 2022/08/07

تاريخ القبول: 2022/12/25

تاريخ النشر: 2022/12/30

وأوصت اللجنة أن يكون الاحتلال سلميا وبالتدريج، لهذا الغرض انشأت المصلحة الخاصة بشؤون البيضان الموريتانيين واسندت مسؤوليتها إلى كوبولاني، ثم تسارعت الأحداث ليكون أمينا عاما للمستعمرات قبل التحاق سان لويس في أكتوبر سنة 1902م بصفته مفوضا عاما على موريتانيا وقد قام بمجموعة من الأفكار لغرض الحماية منها .

- توحيد البيضان في مجموعة متجانسة.

- تأمين المستعمرات في إفريقيا الشمالية..

- تنظيم جباية الضرائب

- ترجيح كفة الزوايا على بني حسان.

- سياسة فرق تسد.

أما وسائله فتمثلت في : الحيلة والدهاء وذلك بإظهار المثل الإنسانية الرفيعة والسماحة والوفاء، كما لجأ إلى بذر النزاعات وتغذيتها على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والفكرية .

2.2. الأسباب المباشرة

1.2.2. العامل السياسي :

- تأمين المستعمرات من هجمات البدو الرحل التي تهددها بين الحين والآخر، وخاصة المتمركزة على نهر السينغال من البيضان الذين كانوا كثيرا ما يتعرضون لها بالنهب والسلب.

- دعم السلم في موريتانيا من أجل حماية القوافل التجارية وتوسيع دائرة تجارة المستعمر المستغلة لثروات البلاد من ملح وأسماك ومعادن وقطاع الطرق أمام المقاومة المغربية، وإبقائها متمركزة وراء خطوطها الظهيرية وعدم استفادتها من الصراع على المغرب وفرنسا والدول الأوروبية.

- تجارة الصمغ ورواجها ، وتحافت الدول لاحتكار هاته التجارة لنفسها وأن تنشأ محطات ومراكز تجارية على نهر

السينغال .¹³

2.2.2. العامل الاستراتيجي :

ربط المناطق المتصلة من المغرب العربي بإفريقيا، حيث أن موريتانيا تعتبر همزة وصل وقنطرة رابطة بين المستعمرات الفرنسية في شمال القارة الإفريقية وغربها، من أجل الربط بين هذه المستعمرات، واحتلال موريتانيا كان أمرا حتميا وضروريا. وهو لضرورة توفير الأمن والاستقرار في المنطقة وذلك يوضع حدا للنزاع والخصومات وإيقاف اشعال الحروب بين الفئات الموريتانية.

3.2.2. عرقلة المد الثقافي الاسلامي :

كان الفرنسيون يرمون أيضا إلى محاصرة انتشار الدين الإسلامي، الذي كان ينتشر على أيدي علماء التصوف الموريتانيين في القارة الإفريقية، مما كان يترتب عليه انحصار الديانة المسيحية في هذه القارة ومن ثم وعيا منهم بهذه الحقيقة عملوا على احتلال موريتانيا وعرقلة هذا المد الثقافي الإسلامي الذي كان يشكل وازعا مانعا دون التغلغل الثقافي الفرنسي في الشعوب الإفريقية، بالإضافة إلى هذه الأهداف الاستراتيجية، فإن السيطرة على المنطقة مهما كانت صحراوية فإن هذا يعني على الأقل خلق رصيد للمستقبل القادم.¹⁴

3.2. الاتفاق الفرنسي - الإسباني - البريطاني

1.3.2. الاتفاق الفرنسي البريطاني :

اتفقت كلا من الدولتين فرنسا وبريطانيا سنة 1890م، فقد حصلت فرنسا بمقتضى هذا الاتفاق على الاراضي الواقعة جنوب البحر المتوسط من ساي على النيجر، حتى بارواة على بحيرة تشاد وكان من هذا الاتفاق أن أراضي موريتانيا اعترفت بها بريطانيا كمناطق نفوذ تابعة لفرنسا، ولذلك ضمنت فرنسا بأن الاستيلاء على موريتانيا لن تواجهه أي مشاكل من قبل الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا، ولذلك توالى البعثات الاستكشافية ولعل أهمها كما ذكرنا سابقا بعثة كوبولاني¹⁵

2.3.2. الاتفاق الفرنسي الإسباني

أما فيما يتعلق بالاتفاق الفرنسي الإسباني في 27 جويلية عام 1900م، على أن يمتد النفوذ الإسباني للصحراء الغربية شمال الرأس الأبيض وفرنسا جنوبه، بعد أن تم الاتفاق شرعت الدولتان في تحقيقه، على أن تأخذ إسبانيا الصحراء الغربية والتي أطلقوا عليها اسم "ساقية الذهب"، اضطر السلطان مولاي عبد العزيز إلى القبول بالأمر الواقع عام 1901م وبذلك التاريخ أصبحت موريتانيا ضمن دائرة النفوذ الفرنسي وأخذت من ذلكم الحين تتصرف فيها وتدخل إلى مناطقها واحدة بعد أخرى.¹⁶

3/ مراحل الاحتلال الفرنسي لموريتانيا:

1.3. مرحلة الإخضاع السلمي (1903-1905)م

تمثلت مرحلة التغلغل السلمي من 1900-1905م، وقد بدأت بقدوم "كوبولاني" إلى المنطقة وقد أقنع رئيس الوزراء الفرنسي بضرورة احتلال موريتانيا، وتم وضع لجنة لدراسة خطة ربط الجزائر بالمستعمرات الفرنسية في غرب

تاريخ الإرسال: 2022/08/07

تاريخ القبول: 2022/12/25

تاريخ النشر: 2022/12/30

إفريقيا، على أن تكون بأقل نفقات ودون إثارة أزمات ديبلوماسية ورغم أن هذه المرحلة اتسمت بالتغلغل السلمي إلا أن هذا لم يمنع حدوث بعض الاضطرابات فقد رفضت القبائل الخاضعة لأحمد سالوم احترام الاتفاقيات المبرمة مع فرنسا ، فأرسلت إليه حملة بقيادة دولابدين، أجبرت أحمد سالوم على إعلان الحماية الفرنسية على بلاده، كذلك احتجزت القبائل الموريتانية اثنين من العلماء الفرنسيين أرسلوا في بعثة علمية إلى أطار عاصمة أدرار وهما جيونو، جمبتا، وبول بلانشيه، ولم يفرج عنها إلا بعد وفاة الشيخ سعدبوه أحد زعماء الطرق الصوفية، وقد تبين بعد هذه الحادثة بأن توقيع المعاهدات والاتفاقيات مع الزعماء الوطنيين لا يكفي لتأمين البلاد أو تأمين عمل البعثات والتجار الفرنسيين.

1.1.3. احتلال الترازة 1903م:

حصل كوبولاني في 15 ديسمبر 1902م على مباركة لعمله عن طريق فتوى تحبذ الانضمام لفرنسا، وهذا في اجتماع ضم الشيخ " سيديا و الشيخ " سعد بوه " والمترجم " أبو المقداد "، ومن ثم بدأ الفرنسيون مسيرتهم داخل موريتانيا بإمارة الترازة مستغلين التنافس الحاصل في أطراف السياسة المحلية، دون انخياز لها، حيث استقبلوا الأمير أحمد سالم بن أعل مرتين في دكار¹⁷ كل من نوفمبر 1901م وفيفري 1902م ، وأصبح لفرنسا الحق في تعيين الأمراء وتعيين مقيم فرنسي في المحضر الأميري كما أعلنت القبائل الزاوية والحسانية التي تضررت من الأزمة عن خضوعها للاستعمار في الأيام الأولى من شهر جانفي عام 1903م¹⁸.

2.1.3. احتلال البراكنة 1904 م :

لم يمنع خضوع قبيلة الترازة للحماية الفرنسية ، كلا من قبيلة أولاد عبد الله، أدوعيش، البراكنة، وتكانت، من مواصلة أعمالها المعادية للنفوذ الفرنسي، حيث تجدر الإشارة أثناء الاجتماع الذي ضم وجهاء البراكنة وكوبولاني سنة 1902م، حيث أعلن أميرها خضوعه للسلطة الفرنسية ، لذا بدأت فرنسا بتأسيس مركز للتموين " بيوكي " ، الأمر الذي دفع بأمير البراكنة أحمد ولد سيدي أعلى الذي كانت تربطه علاقة حسنة مع الفرنسيين بحث وعده وعقده بمساعدة أمير تكانت .

وجدير بالذكر أن كوبولاني فور تعيينه عام 1903م عقد معاهدة حماية مع أمير الترازة والبراكنة، وقد أغراه هذا النجاح ليوصل خططه في التوسع فيما وراء هاتين الإمارتين في إقليمي أدرار وتكانت، علما بأنه لم يكن قد وضع خطة احتلال شاملة للإمارتين بل كان يكتفي بإقامة مراكز عسكرية متناثرة ، فأقام أولا المراكز كما أنه اختار موقع ميناء ليكون مركزا لصيد السمك، فوقع اختياره على " نواذيبو " التي اشتهرت باسم " بورت إيتين " وقد اختلفت الأوضاع في تكانت وأدرار عنها في مناطق الترازة والبراكنة فقد اصطدم الفرنسيون هناك بمقاومة عنيفة من أمثال " أحمد بن الديد " ولد عساس وبكار ولد أسوف أحمد وسيدي أحمد ولد عيدة ، قد دفع كوبولاني حياته ثمنا لتدخله في المنطقة بالقرب من

" بتجكجة " حيث هاجمه¹⁹ جماعة من الموريتانيين يرافقهم الشريف مولاي الزين في مارس 1905م ، وقد اعتبرت هاته الحادثة نهاية مرحلة التغلغل السلمي²⁰.

2.3. مرحلة الإخضاع العسكري (1905-1925)م

1.2.3. احتلال تكانت (1905)م :

بعد إخضاع كل من الترازة والبراكنة سلميا، بدأ كوبولاني في التفكير بالتوجه نحو الوسط لإخضاع قبيلتي تكانت وأدرار، حيث جهز حملة عسكرية وشجع كل من يخدمه، ويساعده في ذلك بمنحه ميدالية عسكرية ، وكان هدفه هو السيطرة على أعالي نهر السينغال ، خصوصا أنه بحملته على تكانت قضى على قوات إدوعيش وفرقها، وقضى على أميرها " بكار ولد سويد "، وكان من نتيجة ذلك تأسيس مركز إداري بتجكجة²¹.

غير أنه لم تمر فترة على استشهاده " بكار ولد اسويد " حتى لقي كوبولاني حتفه، على يد سيدي مولاي الزين أحد مريدي الطريقة الغطفية، وذلك في 12 ماي 1905م، وخلف كوبولاني الرائد " مونتاني " في الوقت الذي زادت فيه حماسة المقاومة، خصوصا على يد أمير أدرار ولد عيد والشيخ ماء العينين، وفي ظل هذه الظروف الحرجة بالنسبة للفرنسيين، فقد أخذوا الحيلة والحذر وحصنوا مراكزهم الدفاعية، وخلال عام 1906 م ، أقامت فرنسا مركزا " بأكجوجت " للربط بين شمال أدرار والإمارات الجنوبية وذلك بأمر من الحاكم العام لإفريقيا الغربية " وليام بونتي "

2.2.3. احتلال ادرار 1909 م

مكن احتلال تكانت وتوفير المراكز الدفاعية، الرائد " مونتاني " من تحقيق الهدوء النسبي داخل المناطق التي خضعت للسيطرة الفرنسية، إلا أن الأمر انفجر ثانية، حيث التف الموريتانيون من جديد حول أمير أدرار " ولد عيد " والشيخ " ماء العينين " ، الذي أعلن فيه هذا الأخير الجهاد ضد فرنسا، كان غزو أدرار سلميا في بداية الأمر، غير أنه لما حل مكانه " غورو " واستقر بمدينة " أطار " عاصمة إقليم أدرار في جانفي 1909م ، كانت أولى المعارك ، معركة واحة المنيان²².

3.2.3. احتلال تيشيشث عام 1911 م

قام الفرنسيون بحملات أخرى، بعدما تمكنوا من السيطرة على أدرار وإخضاع ما تبقى من الفرق الموريتانية ، حيث صدر قرار القيام بحملة عسكرية سنة 1911 م، وهذا للقيام بعمليات متزامنتين، الأولى للاستطلاع على

تشيشت " والثانية استطلاع " ولاته " ، دخلت فرقة تمبكتو إلى ولاته تحت قيادة العقيد " رولي " في المقابل كانت مجموعة الفرق الموريتانية قد تشكلت في تحكجة تحت قيادة العقيد " باقي " وتمكنت هذه الفرق من عملية الاتحاد المقررة، ومنها تم اكتمال تطويق الحوض تقريبا، وأصبح تحت السيطرة الفرنسية مع بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914 م.

4/ المقاومة المسلحة

منذ القرن العشرين وبعد إعلان معاهدة الحماية عام 1903م، تصاعدت عمليات الإخضاع العسكري الفرنسي لكافة مناطق البلاد، وقد أدى ذلك إلى تصاعد الكفاح المسلح، وقيام السكان بحرب اقتصادية واجتماعية قائمة على رفض ومقاطعة البضائع الفرنسية ورفض التعامل مع المستعمر، أو إنشاء علاقات اجتماعية مع المستوطنين، ناهيك عن مقاطعة المدارس الفرنسية، وقد سخر علماء البلاد خطبهم وأقلامهم لشحنهم ولهممهم والعزائم ضد المحتل الفرنسي ومقاومته والدفاع عن حرية البلاد واستقلالها وسيادتها كما حصل في باقي أقطار المغرب العربي، وأكد العلماء أن التمكين لهم من أرض المسلمين يعد مخالفة شرعية²³.

1.4. مرحلة الاصطدام (1903-1905)م

1.1.4. المقاوم بكار ولد سويد أحمد :

تتمتاز هاته المرحلة بأنها تمثل مرحلة المقاومة العسكرية المنظمة حيث تم خلالها عقد تحالفات سياسية مهمة بين أمير تكانت " بكار ولد سويد أحمد و أمير البراكنة " أحمد ولد سيد اعل " بهدف صد الاحتلال الأجنبي وإعاقة التقدم الفرنسي داخل البلاد، وقد عرف أمير تكانت منذ عام 1904 م، بتزعمه للحركة المعادية للفرنسيين في موريتانيا²⁴ ، ففي شهر فيفري 1904 م أغار بكار على مركز الفرنسيين في " بلدة ميت " الواقعة ضمن منطقة البراكنة ليحقق الانتصارات المطلوبة على الحامية الفرنسية، بينما تكبد خسائر بشرية ومادية.

وتؤكد المصادر أنه نتيجة للتفوق العسكري الفرنسي، قام " بكار ولد سويد " أواخر عام 1904م بالانسحاب من البراكنة، وقام بتجميع أنصاره من البراكنة وتكانت وأدرا مركزا لقواته في منطقة آفطوط، كما تمكنت على الصعيد الداخلي لإمارته في تكانت من توحيد صفي آبكاك و الشرايت، التي تمثل أهم المكونات الاجتماعية لهذه الإمارة في الوقت الذي كسب فيه ولاءها، وذلك قد تم بفضل تأثير الشيخ محمد فاضل الذي أرسله أبوه الشيخ ماء العينين لإعلان الحرب ضد الفرنسيين، استغل بكار ذلك لصالحه باعتباره حامل لواء الدفاع عن الإسلام والمسلمين ورغم الانتصارات

تاريخ الإرسال: 2022/08/07

تاريخ القبول: 2022/12/25

تاريخ النشر: 2022/12/30

التي حققتها المقاومة في منطقة " آفلة "، قامت بقتل الأمير بكار في صبيحة 1 أبريل 1905 م ، وقد كانت موت الأمير بكار خسارة كبيرة للمقاومة المسلحة الموريتانية التي ماتزال في ريعان شبابها وقد أسفر موته عن ما يلي :

- تفريق قوة ادوعيش ومصادرة الكثير من أملاكها من طرف الفرنسيين حيث تفيد التقارير الفرنسية أن الحملة على تكانت خلال سنة 1905 م ، حصلت خلالها على كميات كبيرة من الحبوب والاغنام.

- كما أسفر موت الأمير بكار عن إعلان بعض القبائل الموالية له عن خضوعها للاستعمار، حيث توافد الكثير منها على مقر إقامة الحاكم العسكري "كوبولاني" بتجكجة طلبا للأمان .

- وبقدر ما اعتبر موت بكار انتكاسة حقيقية، إلا أنها كانت سببا في وحدة الكثير من الموريتانيين.²⁵

2.1.4. المقاوم سيدي مولاي الزين :

من أهم المعارك في هذه المرحلة معركة تجكجة في ماي 1905 م التي شهدت مقتل كوبولاني على يد سيدي مولاي الزين، حيث جاءت المعركة في سياق تاريخي، فقد كان المستعمر آنذاك يخطط لسيط نفوذه، نزل الشريف سيدي مولاي الزين في وادي أمحيرات، واتفق مع رفقائه على السير بسرعة إلى ميدان المعركة، على أن يتناقشوا تفاصلها ميدانيا خلال جلسات الطريق ، وهكذا واصلوا طريقهم نحو تجكجة أين يحلّ كوبولاني²⁶ ، ومنه تمكنت عناصر الفرقة من التسلل ودخول المعسكر في حدود العاشرة ليلا ، حيث قتلوا حراس الثكنة طعنا بالسيوف ثم قتلوه²⁷ .

2.4. مرحلة اشتداد المقاومة (1905-1914)م

جرت أغلب عملياتها في تكانت، أدرار، البراكنة، آفلة، تيرس، نواذيبو، وقد تميزت المرحلة بتحضر القبائل للقتال بعد مقتل كوبولاني وتنامي العمل العسكري، لا سيما بعد حصار تجكجة، إضافة إلى طبيعة الميدان الملائم لحرب العصابات، وبعد المنطقة عن دائرة التأثير المباشر لمدرسة التصوف المؤيدة للفرنسيين.

1.2.4. الصوفي المقاوم الشيخ ماء العينين :

هب جميع المواطنين من جميع المناطق لمواجهة الاستعمار، وتنادت قبائل البلاد ، فقررت إرسال ركب إلى الشيخ ماء العينين بمقره في السمارة بالصحراء، ومنه إلى السلطان بالمغرب لطلب النجدة بالعتاد وعدة الحرب، وكان ركب المجاهدين مكونا من قبائل ادوعيش وأهل سيدي محمود وتكانت ومشطوف والرقبيات وتكنة وأولاد دليم وغيرهم²⁸ .

لقد هب الموريتانيون للشيخ ماء العينين لسببين أولهما :

- أنه حمل على عاتقه راية الجهاد ضد المحتل الأجنبي في موريتانيا، ودفع بأبنائه إلى جبهات القتال، وقام بمراسلة شيوخ القبائل سنة 1905م، خصوصا بعد معركة تجكجة، وجعل من أدرار مركزا لقيادته وأعلن الجهاد.

تاريخ الإرسال: 2022/08/07

تاريخ القبول: 2022/12/25

تاريخ النشر: 2022/12/30

- أنه يمتلك سلطة روحية وعسكرية على المنطقة الصحراوية الواقعة في شمال موريتانيا وجنوب الصحراء الغربية .
ونتيجة لاستئجار الاهالي به، استعان الشيخ ماء العينين بسلطان المغرب²⁹ ، مولاي عبد العزيز طالبا نجدة موريتانيا، واضعا نفسه والقبائل التابعة له تحت إمرته، من هنا أرسل ملك المغرب له فيلقا بقيادة الأمير " إدريس " ،³⁰ ، غير أن السلطان عبد العزيز تراجع عن موقفه المؤيد بضغط من الاستعمار الفرنسي الذي أخذ يوطد وجوده في المغرب بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء عام 1906م ، لذا أرسل سلطان المغرب لأخيه آذنا له بالعودة .

تلقى الشيخ ماء العينين مساندة أجنبية ، إذ كانت السفن الألمانية واليونانية تزوده بالأسلحة، بالإضافة إلى اتصاله بالسلطان العثماني، كل هذا أزعج السلطات الفرنسية، مما جعل الجنرال غورو يبني حصنا في أكشوط سنة 1908م ، غير أن الشيخ ماء العينين أرسل قواته إلى " دامن " جنوب هذا الحصن وهاجمته، ومن هناك أعلن ابنه " حسنا " أو " حسان " الجهاد ضد الفرنسيين، ودامت المعارك سنتين (1908-1910)م، بيد أن الامكانيات العسكرية الهائلة التي وضعتها فرنسا تحت تصرف ويليام بونتي الوالي الفرنسي العام في إفريقيا الغربية ، أدت إلى هزيمة الشيخ، إضافة إلى خيانة بعض القبائل له، توفي الشيخ في أكتوبر 1910م، وانتهت مقاومته بدخول الفرنسيين إلى أدرار بعد وفاته³¹ ، خلف الشيخ ماء العينين ابنه هبة الله، رافع راية الجهاد كما فعل والده، وشملت حركته جنوب المغرب الأقصى وشمال موريتانيا، إذ كان العدو مشتركا للقطرين، من أشهر المعارك في هاته المرحلة : معركة النميلان في 25 أكتوبر 1906م، ومعركة لكويشيش في 28 نوفمبر 1908م³²

2.4. مرحلة الانبعاث (1918-1923)م

بعد الحرب العالمية الأولى، شعر الفرنسيون باطمئنان في موريتانيا، وعدوا هاته الأخيرة جزءا من إفريقيا الغربية الفرنسية، ففي عام 1920م أصدرت فرنسا، بعد خضوع المغرب مرسوما يجعل من موريتانيا مستعمرة فرنسية ، يحكمها مقيم عام فرنسي، فضمته إلى إفريقيا الغربية الفرنسية، وألحقها إداريا بالسنغال بعد أن قسمتها إلى عشر دوائر عينت على رأس كل دائرة مديرا فرنسيا³³، ولكن الحركات عادت تظهر من جديد سنة 1923م ، حيث ألحق الثوار خسائر فادحة بمجموعة عسكرية في أدرار³⁴ .

5/ خاتمة :

نستخلص من هاته الدراسة التي تناولت عموما أحداث الاحتلال الفرنسي لموريتانيا، بداية من أطماعها في المنطقة وصولا للمقاومة العسكرية المسلحة أن:

- المعاهدات التجارية التي عقدت بين فرنسا والقبائل الموريتانية، قد حددت العلاقة بين الطرفين ونظمتها.
- استطاعت فرنسا من خلال البعث الاستكشافية أن تعرف موريتانيا من خلال التقارير التي وردت إليها.
- الاتفاقيات الاسبانية والبريطانية التي عقدتها فرنسا، سهلت لها الاحتلال بيسر وسهولة.

تاريخ الإرسال: 2022/08/07

تاريخ القبول: 2022/12/25

تاريخ النشر: 2022/12/30

- لم تقم فرنسا بالاحتلال المباشر بل مرت عبر مرحلتين السلمي ثم العسكري.
- اعتمدت الادارة الاستعمارية على شيوخ الزوايا، ثم لما اشتد وطء المقاومة وأعلن بعض الشيوخ عصيانهم، فغيرت من طبيعة اعتمادها على الأشخاص، خصوصا بعد فهمهم لخطط حرب العصابات.
- كانت المقاومة الوطنية عنيفة في البداية ثم خبت، خصوصا مع اشتعال الحرب العالمية الأولى.
- تعتبر مقاومة موالي ولد الزين وبكار ولد سويد، دور في شحذ الهمم واستعمار المقاومة، خصوصا بعد مقتل كابولاني، كما أن احتضان الشيخ ماء العينين لراية الجهاد ودفاعه المستميت عن موريتانيا، كانت منعطفا لبروز نوع آخر من المقاومة، أكثر شدة من سابقه.

الهوامش :

¹ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1995م، ص543.

² محمد بن ناصر العبودي، إطلالة على موريتانيا، ط1، مركز النشر بلا، 1997م، ص28.

³ أبكر عبد النبات آدم، التنوع الديني والاثني في موريتانيا، دراسات افريقية، مركز البحوث والدراسات الافريقية، جامعة افريقيا العالمية، الخرطوم، ع53، 2015م، ص126.

⁴ محمد يوسف مقلد، موريتانيا الحديثة- غابرها- حاضرها، ط1، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1960م، ص41.

⁵ فوزان عبد الرحمن الفوزان وآخرون، الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي (إقليم الصحراء الكبرى)، ط1، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرباط، 1999، ص531.

⁶ فيذرب: هو لويس فيذرب، ولد عام 1818م، في نيل بفرنسا، عين حاكما للسنگال لفترتين (1854-1881)م، وقد عمل في الجزائر سابقا، توفي في 1889م بباريس. انظر: عفاف عباس: الاستعمار الفرنسي لموريتانيا (1903-1960)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ معاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014، ص23.

⁷ محمد الحبيب أمير الترازة: محمد الحبيب ولد عمر ولد المختار، وهو أحد أشهر أمراء الترازة على الاطلاق، تزوج من أميرة أوالو، وبالتالي كان له الفضل في توحيد الترازة والبراكنة، انظر: نفسه، ص60.

⁸ محمد الراضي ولد صدقن: الاستعمار الفرنسي وآثاره في موريتانيا، مجلة العصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، ع: 11-12، 2013م، ص338.

تاريخ الإرسال: 2022/08/07

تاريخ القبول: 2022/12/25

تاريخ النشر: 2022/12/30

- ⁹ كوبولاني: كزافيه كوبولاني المفوض العام للحكومة الفرنسية والمؤسس الحقيقي لموريتانيا، ولد في جزيرة كورسيكا سنة 1866م، نشأ وترعرع في الجزائر، درس اللغة العربية وركز على دراسة الإسلام، تم اغتياله عام 1903 م، من طرف سيدي مولاي الزين، انظر: عفاف عباس، المرجع السابق، ص 50.
- ¹⁰ تكانت: تقع ولاية تكانت وسط موريتانيا تحدها من الشمال ولاية أدرار و من الغرب البراكنة ومن الجنوب كل من لعصاب و الحوض الغربي، من الشرق والية الحوض الشرقي عاصمتها هي تجكجة. ينظر: شبكة بحوث وتقارير، 7 أوت 2022، س: 2:19 <https://arbyy.com/detail1211306123.html>
- ¹¹ البراكنة: هي إحدى ولايات جنوب موريتانيا، عاصمتها آلاك، وتبعد عن العاصمة 250 كم. انظر: نفسه
- ¹² الترازو: إمارة الترازو هي إحدى الإمارات التقليدية الموريتانية التي بسطت نفوذها على الساحل و الجنوب الغربي لمدة تزيد على ثلاثة قرون من الزمن تقريبا. انظر: نفسه.
- ¹³ محمد الراضي ولد صدقن: المرجع السابق، ص 367.
- ¹⁴ عفاف عباس: المرجع السابق، ص 68.
- ¹⁵ محمد الراضي ولد صدقن: المرجع السابق، ص 266.
- ¹⁶ علي بدوي علي سالماني: الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960) م، رسالة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأفريقية، قسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، 1991م، ص ص 11-19.
- ¹⁷ إلهام محمد علي دهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1912) م، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2009م، ص 325.
- ¹⁸ عفاف عباس: المرجع السابق، ص 89.
- ¹⁹ يحيى أبو زكريا: موريتانيا المسلمة بين الأمركة والفرنكفونية والصهيونية، عرب تايمز، 2014م، ع 23:00.
- ²⁰ إلهام محمد علي دهني: المرجع السابق، ص 226.
- ²¹ تجكجة: مدينة بوسط موريتانيا، أنشأت سنة 1860، من طرف قبيلة إدوغل، القادمة من مدينة شنقيط التاريخية. عفاف عباس: مرجع سابق، ص 86.
- ²² عفاف عباس: المرجع السابق، ص 89.
- ²³ محمد الراضي ولد صدقي: الاستعمار الفرنسي وآثاره في موريتانيا، مجلة العصور الجديدة، ع 11-12، 2014، جامعة وهران، الجزائر، ص 113.
- ²⁴ خليل النحوي: بلاد شنقيط (المنارة والرباط)، د ط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص: 335.
- ²⁵ محمد علي داهش: المغرب العربي المعاصر (الاستمرارية والتغيير)، د ط، الدار العربية للموسوعات، بيروت، د ج، ص 16.
- ²⁶ محمد الراضي ولد صدقي، الاستعمار الفرنسي وآثاره في موريتانيا، مجلة العصور الجديدة: ع 11-12، جامعة وهران، الجزائر، 2014م.
- ²⁷ محمد محبوب ولد بيه: موريتانيا جذور وجسور، ط 1، مكتبة القرنين، نواكشوط، 2016م، ص 51.
- ²⁸ قاسم الزهيري: مذكرات ديبلوماسية عن العلاقات المغربية الموريتانية، د ط، الهلال العربي، الرباط، 1991م، ص 40-41.
- ²⁹ اسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكرو: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د ط، دار المريح، الرياض، 1993م، ص 451.
- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج 6، ص 335.

تاريخ الإرسال: 2022/08/07

تاريخ القبول: 2022/12/25

تاريخ النشر: 2022/12/30

- ²⁹ آمنة سلمى : منظمة الوحدة الإفريقية ودورها في حل النزاعات الحدودية (النزاع السنغالي الموريتاني أمودجا)، مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2013 ، ص 36.
- ³⁰ محمد علي داهش ، المرجع سابق، ص 87.
- ³¹ غاستون دوفور: تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا القرن 17 ، ط 3 ، مكتبة القرنين 93/31 ، نواكشوط ، موريتانيا ، 9939م ، ص.95.
- ³² نفسه، ص96.
- ³⁰ علي بدوي سلمان: المرجع سابق، ص89
- ³⁴ مجهول المؤلف ، أرشيف التاريخ العالمي والاسلامي ، ستار تايمز 2013 ، 10:15.